جهت تهيه فايل WORD اين مقاله به سايت DaneshResan.com مراجعه نماييد و عنوان مقاله را جستجو كنيد
بيش از ۲ ميليون مقاله فارسی در اين سايت موجود ميباشد

أ. الشيخ محمد علي التسخيري
الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

دراسات ومقالات

القيم والمصالح اساس التقارب بين الحضارات والأديان

لا شك أن هناك في العالم الاسلامي صحوة اسلامية شاملة، وقد تجلّت بشكل اكثر وضوحاً في منتصف القرن الماضي، وقد رأينا بعض مظاهرها، والتي قد تكون ايضاً عناصر مساعدة على اتساعها وتعميق جذورها، متمثلة في قيام المؤسسات الشمولية في أواخر الستينات كرابطة العالم الاسلامي ومنظمة المؤتمر الاسلامي، ونجاح الثورة الاسلامية في ايران، وهزيمة الاتحاد السوفيتي في افغانستان، وانتشار المطالبة بتطبيق الاسلام في شتى انحاء العالم الاسلامي، وتنامي الشكوك تجاه نوايا الغرب تجاه العالم الاسلامي، وانتشار العادات والظواهر الاسلامية خصوصاً بين الشباب وامثال ذلك.

وقد دفع هذا التحول الكبير بعض الدول العظمى كأميركا لتغيير استراتيجياتها، وبعض المفكرين ليعيدوا النظر في تحليلاتهم الحضارية واسلوب التعامل بين الحضارات، كما دفع بعض ذوي النظريات المتطرفة الى العودة الى نظريات تقسيم العالم الى متحضر ومتوحش، وبالتالي تطبيق مبدأ قانون الغابة مع سكانها، وانه لا معنى للتعامل معهم

وفق المبادئ الانسانية.

وقد انجزت اعمال تحقيقية لها قيمتها الدراسية في هذا المجال[١].

وقد كانت المحاولات تنصب على عناصر ثلاثة في مجال تبيين سبب الظاهرة، وهي:

١ـ مسألة انقسام المجتمعات الاسلامية الى خطوط ثقافية ثورية او رجعية وصراع هذه الخطوط.

٢ـ مسألة سعي الغرب او الحكومات الموالية له الى تهميش العنصر الاسلامي والمظاهر الاسلامية.

٣ـ عمل المفكرين الاسلاميين على الاستفادة الجيدة من ظروف الانفتاح الانساني وحقوق الانسان لغرض اثارة الحماس في العالم الاسلامي.

وهم بذلك ينقسمون في مجال التعامل الاسلامي الغربي الى فريقين:

الأول: من يرون ان مجال التصالح بين الغرب والاسلام مغلق ونَفَقُهُ مظلم، لأن السر يكمن في ان الاسلام نفسه يرفض الغرب قيمياً ولا يسمح مطلقاً بالتعايش او ما يسمونه بالانسجام مع الحداثة او التغريب. وتسميهم الكاتبة شيرين هانتر بالمستشرقين الجدد[٢]، أما نحن فيمكن ان نسميهم بفلاسفة (اليأس الحضاري).

ومن هؤلاء مثلاً مارتن كرامر الذي ينعى على مخالفيه تساهلهم في الامر ويسميهم (الاعتذاريين) ويرى ان عملية الاحياء الاسلامي ستقضي على نفسها في نهاية القرن كما يرى أموس برلموتر في مجال العلاقة بين الاسلام والديمقراطية (أن المسألة ليست الديمقراطية بل الطبيعة الاصلية للاسلام)[٣].

ولا نعدم في عالمنا الاسلامي من يصور العلاقة في ثنائية متنافرة تنافر الاسلام والجاهلية.

الثاني: يرى امكان التعايش نتيجة حيوية الاسلام وقدرة التجربة الاسلامية على التغيّر والتكيّف، كما يرى ان الانبعاث الاسلامي ناتج لا من قدرات الاسلام الذاتية بل من الحرمان الاقتصادي والاستلاب الاجتماعي والحرمان السياسي ايضاً، وهذا ما يؤكد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جهت تهيه فايل WORD اين مقاله به سايت DaneshResan.com مراجعه نماييد و عنوان مقاله را جستجو كنيد
بيش از ٢ ميليون مقاله فارسی در اين سايت موجود ميباشد

عليه فرانسوا بورغات، كما يرى ايضاً بعداً ثقافياً لهذه الحركة كجهد للاستقلال الثقافي ويقول:

(نحن نشهد الوجه الثالث لعملية ازالة الاستعمار. فالوجه الاول كان سياسياً ـ حركات الاستقلال ـ والثاني اقتصادياً ـ تأميم قناة السويس في مصر والنفط في الجزائر ـ اما الوجه الأخير فهو ثقافي[٤]. ويدعو هؤلاء الى سياسة التعامل بايجابية وتسميهم الكاتبة شيرين هانتر بالعالم ثالثيين[٥]، وأُسَمِيهِمْ بـ (مفكري التوافق)، وهناك كثيرون من المفكرين الاسلاميين ينحون هذا المنحى.

وإذا كنت انعى على الاولين بُعدهم عن فهم طبيعة الاسلام المرنة، وفهم حقيقة الصراع الطويل بين العالم الاسلامي والعالم الغربي بكل ما فيه من مد وجزر، فإني انكر على اتباع الاتجاه التوافقي الغربي اعتبارهم قيم الحضارة الغربية هي الاصل، ومدى قدرة الاسلام على الانسجام معها هو المعيار في حيوية الاسلام.

فهذا برايان في سلسلة مقالاته عن الموضوع في (الايكونوميست) اللندنية عام ١٩٩٤ يبدو توافقياً داعياً الغرب الى شيء من الانحياز الى المعنويات، وداعياً العالم الاسلامي الى الايمان بكل القيم الغربية، معتبراً ان العالم الاسلامي يمر اليوم في قرنه الخامس عشر الهجري بنفس الحالة التي كان الغرب يمر بها في قرنه الخامس عشر الميلادي، وكما كان الاسلام العامل الخارجي المؤثر آنذاك لحدوث النهضة فيجب ان يكون الغرب هو العامل الخارجي المؤثر في نهضة العالم الاسلامي اليوم.

وكذا نجد شيرين هانتر فهي تدعو الغرب الى شيء من التدين وتدعو العالم الاسلامي الى العلمانية ليتم حل المشكلة[٦].

وكأن الأمر يدور بين حالتين فإما ان يتنازل الاسلام عن قيمه ليرضى الطرفان: اليائسون والتوافقيون، او يوصف بأنه العدو الحضاري على طول المدى للغرب. ولنصور هذه الثنائية الحدّية بشكل آخر، فإما أن يكون معيار الصراع القيم فلا تلاقي في البين، او يكون لمصلحة فهناك آفاق للتعاون والتعايش.

وهنا أود أن ابدي بعض الملاحظات:

الملاحظة الأولى:

ان هناك خلطاً واضحاً احياناً بين الاسلام كمنظومة قيم والمسلمين كأمة تعتنق الاسلام، فالواقع التطبيقي للاسلام ولمسيرة الأمة لا يعكس في ظروف ليست قليلة حقيقة القيم الاسلامية في حركتها العملية، فلا يمكن مثلاً اعتبار تصرف حاكم معين منطلقاً من الثقافة الاسلامية حتماً، خصوصاً وان الحكم الاسلامي ابتلي بفترات استبداد وبعد عن القيم يتبرأ منها المسلمون انفسهم، كما ان القيم الغربية والسلوك الغربي لا يعني بالضرورة رضاً مسيحياً عنه بل ان محاولات التخلّص حتى من النَفَس المسيحي معروفة.

إلا اننا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا ان روح القيم الاسلامية هي التي تحرك التيار العام في العالم الاسلامي حتى لو افترضناه علمانياً، كما ان الروح المسيحية تفعل فعلها وتترك تأثيرها الجذري على مجمل الحياة الغربية. ولكنهما (الاسلام والمسيحية) يبقيان مصونين عن اي انحراف في العالم (الاسلامي والغربي) لا يمت الى قيمهما بصلة.

ومن هنا نجد الفرق واضحاً في مجال النظرة او في مجال التعايش في الغرب عنهما في العالم الاسلامي حتى ان المرء لا يحس بكثير من الفوارق بين المسلم والأرمني الايرانيين او القبطي والمسلم المصريين.

ومن هنا نقول ان الحوار الاسلامي المسيحي له تأثيره القوي على العلاقة بين الحضارتين الاسلامية والغربية.

الملاحظة الثانية:

اننا لا نجد انفسنا محصورين في الزاوية الضيقة فإما أن نترك الساحة للقيم المتناقضة فالصدام والصراع، أو نلجأ الى المصلحة فتُسحق القيم ويتم التعايش ـ والمفروض ان التنازل عن القيم يعني الاغتراب عن الذات ـ . ان هذه المعادلة باطلة على صعيد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جهت تهیه فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستجو کنید
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

العلاقة الاسلامية الغربية واكثر بطلاناً على صعيد العلاقة الاسلامية المسيحية.

فهناك الكثير الكثير من نقاط الاشتراك بين الاسلام والغرب يمكنهما ان يتفاهما عليها دون التنازل عن القيم. من امثال (حقوق الانسان، والديمقراطية، والسلام، والحرب ضد الارهاب، ومقاومة العنصرية والنازية والفاشية وغير ذلك).

وهناك المصالح المشتركة التي تزيد العلاقة قوة.

اما المساحات المشتركة بين الاسلام والمسيحية ففيها اتساع ملحوظ.

فهناك تراث قيمي مشترك لا يقدّر بثمن فإن الملاحظ للنصوص الاسلامية يجد كماً كبيراً من النقل عن عيسى (ع) وامه الطاهرة نقلاً يوجه الحياة وينقيها. وكمثال على ذلك نجد الشيخ الكليني وقد توفي في اوائل القرن العاشر الميلادي في كتابه المعروف (الكافي)[٧] ينقل نص مناجاة الله (عز وجل) لعيسى كأروع ما يكون حيث يبدو كما يعبر محمود ايوب (عبداً متواضعاً لله، لكنه في الوقت عينه ولي مقرب عند الله) ثم يعقب فيقول:

(من خلال مفهوم التجلي الإلهي هذا تلتقي صورتا المسيح الاسلامية والمسيحية حول نقاط عدة: فالإسلام يؤكد ان في مقدور الانسان، بل من واجبه ان يتقرب الى الله والتقرب الى الله يتضح جلياً في معراج النبي محمد (ص) حيث وقف امام الله مباشرة وصعود المسيح ليجلس عن يمين الله) ورغم وجود بعض النقاش في هذا النص إلا أنه يكشف عن تلاحم بين التراثين.

على ان هناك تلاقياً في مجالات كثيرة منها:

ـ التركيز على عبادة الله ومحاربة الظلم والطغيان.

ـ الايمان بالفطرة الانسانية المبدعة.

ـ الايمان بمنظومة اخلاقية تكاد تكون واحدة.

ـ الايمان بحقوق الانسان.

ـ الايمان بقيمة التشكيل العائلي.

ـ الإيمان بضرورة التكافل الاجتماعي.

ـ الإيمان بضرورة احياء الذكريات المصيرية.

ـ الإيمان بقيمة الحياء والعفة الاجتماعية.

ـ الإيمان بالحياة الإلهية المسجدية او الكنسية.

ـ الإيمان بضرورة خدمة الحضارة الانسانية.

ـ الإيمان بمنظومة من العبادات والصلوات المزكية للنفس.

وغيرها كثير كثير.

وهناك مساهمات حضارية مشتركة. على ان المصلحة وهي في نفسها قيمة دينية تقتضي هذا التعايش؛

ان التعاون في الحرب ضد الفقر والمرض والجهل، والعمل لنفي التعصب، والانهيار الاخلاقي، واشباع الحاجات المعنوية ومقاومة المخططات الشيطانية لتقويض الكيان العائلي والتشكيك في القيم الدينية، ومقاومة الارهاب بشتى انواعه ومنه الارهاب الرسمي، ورفض ادعياء الدين الذين يخلقون الحروب لمصالحهم الشخصية والفئوية والحزبية ويتسترون بالدين، وغيرها كلها مصالح تدعو الطرفين للتعاون البنّاء.

الملاحظة الثالثة:

اذا تتبعنا التحليلات والحلول والتصريحات الغربية الممتدة على خط الزمان وعلى مختلف المستويات نجد ان الهاجس الاكبر لدى الغرب هو هاجس تقديم الاسلام للبديل الحضاري المتميز ذي الطابع القيمي اللامنسجم مع القيم الغربية، والذي يحمل في ذاته عنصر البقاء والنمو المتواصل ، والحفاظ على الذات، ومنع الآخر من الاستغلال. وبالتالي سقوط النموذج الغربي، وانهيار التفوّق الحضاري للرجل المسيحي الاوربي الابيض. وهذا الهاجس ملاحظ في كلمات السياسيين كتشرشل، وديغول، وبرلسكوني وبوش وامثالهم وفي كلمات المؤرخين كتوينبي والكتّاب كهانتنغتن وفوكوياما وبرايان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغيرهم.

ومن هذا الهاجس الذي تعاظم في الثمانينات واوائل التسعينات من القرن الماضي انطلقت فكرة الاستراتيجية الامريكية الجديدة عام ٩٧، بل من هذا الهاجس جاءت التصرفات الغربية الكبرى طوال القرون الاخيرة ان لم نمتد بها الى مدىً ابعد، ومنه ايضا جاءت العولمة التي تعني في الواقع غربنة العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية او أمركتها، وركوب موجة الاتجاه العالمي الطبيعي من الكثرة الى الوحدة في مختلف المجالات.

هذا الهاجس الذي تعبر عنه الكاتبة (شيرين هانتر)[٨] بالحسد احياناً دفع الغرب لفرض واقع التخلف بشتى انواعه، والتمزق، والعلمنة على العالم الاسلامي.

اما التخلف فحدث عنه ولا حرج سواء أكان في المجال العلمي، أو الاقتصادي أو العسكري أو الثقافي او الاجتماعي. وواضح ان الغرب لم يسمح الا بالنزر القليل من التقدم ابقاء على ادعاءات التحضير الانساني.

ولا نريد هنا ان نقلل من تقصير المسلمين في هذا المجال ولكن من غير المشكوك فيه ان السعي الغربي كان على اشده في مجال ابقاء التخلف وتعميق الفوارق بين المستوى الغربي ومستوى العالم الاسلامي بأساليب متنوعة (لاحظ ما كتبه مؤسس الماسونية في ايران السير گراوزلي في رسالته الى وزارة الخارجية البريطانية عام ١٨٤٤).[٩]

واما التمزق فإن للغرب دوره الاكبر في ايجاده الى اقصى حد، اما مباشرة او من خلال المتأثرين بفكره. ويلاحظ من كلمات الكاتبة المذكورة مدى التوجس من التوحد حتى انها تقرر في نهاية كتابها ان الوحدة الاسلامية والكيان الاسلامي الموحد امر بعيد المنال في المستقبل بل ان مجرد ظهور شعور بالاسلام الشمولي، وظهور الدعوات الاولية للمنظمات الشمولية في العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الماضي قلب الموازين الغربية فراحوا يحسبون له ألف حساب، ومن حساباتهم تفريغ هذه المنظمات من محتواها وابقاؤها على مستوى الاشباع الشكلي والعاطفي لجوعة عارمة ، ورغبة

جماهيرية لاتقاوم للوحدة الاسلامية. ويتخذ التمزق هذا اشكاله المتنوعة فهناك تمزق على اساس القومية وآخر جغرافي وثالث لغوي ورابع في الولاء والخامس في المستوى المعيشي وهلم جرّاً، والكاتبة تعتبر ان عملية تمزق النسيج الاجتماعي للعالم الاسلامي شكلت احد عوامل الصحوة الاسلامية والدعوة الى العودة للاسلام دون ان تتحدث عن الدور الذي لعبه الغرب في القضاء على الدولة العثمانية ونشر الفكر القومي الضيق، وايجاد الخلافات بين الكيانات المصطنعة وامثال ذلك.

واما العلمنة فهي الداء الوبيل الذي ضرب عالمنا الاسلامي واستطاع الى المدى الاكبر ان يسيطر على مجمل ارجائه . وقد شجع الغرب العلمنة بشتى الاساليب حتى ان الكاتبة اعترفت بأنها فرضت فرضاً خلال الاعوام ١٩٢٠ - ١٩٧٠ وأنها لم تحقق المقصود وذلك طبيعي لأن العالم الاسلامي مهما ابتعد عن الاسلام واحكامه فانه يبقى إسلامي النفس والنبرة والاحاسيس، فاذا ضممنا الى هذه الحقيقة حقيقة اخرى وهي ان الاسلام دين الحياة ولايمكن فصله عن جوانبها الثقافية والاجتماعية والسياسية، وهي حقيقة يحاول الكتاب الغربيون بل وحتى السياسيون الى اليوم انكارها وهذا ما وجدناه في حديث كولن باول وزير الخارجية الامريكية بتاريخ ١٤ نوفمبر ٢٠٠٣م وهو ما يركز عليه العلمانيون في عالمنا الاسلامي بل يعملون على منحه ابعاداً فلسفية، ونحن نجد الكاتبة تعمل جاهدة على ان تجعله الحل السحري للصراع، فكل الجهود يجب ان تصرف لعلمنة المجتمع الاسلامي، والنظام السياسي غير واضح في الكتاب والسنة، والمجتمع الاسلامي يقبل العلمنة فلا حتمية للصراع، ولا توجد نظرية متكاملة للعلاقات الدولية في الاسلام، ومبدأ الجهاد يتنافى مع مبدأ نفي الاكراه في الدين، والاتجاه العالمي للاسلام يجب أن يتخلى عنه المسلمون، وحركة الاحياء الاسلامي التي ترفض العلمنة يجب ان يرفضها المسلمون لأنها هي سبب الصراع بين الحضارات، وان على العالم الاسلامي ان يروّض قيمه وفق مصالحه، وان مسألة انفصال الدين عن السياسة هي حقيقة واجهتها الثورة الاسلامية في ايران ولم تستطع التغلب عليها، وان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الافكار الاصلاحية النسبية للدكتور سروش تعني ان الاسلام يقبل الاصلاح (وبطبيعة الحال العلمنة)، وان التوليفة بين الاسلام والغرب تتم من خلال علمنة اكبر المجتمعات الاسلامية، وتعتبرها هي المرحلة المستقبلية.

اننا اذا ضممنا الحقيقتين الماضيتين:

(حقيقة ان النَفَس الاسلامي هو الطابع العام للعالم الاسلامي) و(حقيقة ان الاسلام لايمكن فصله عن الحياة)،

عرفنا بوضوح بطلان كل المساعي لعلمنة العالم الاسلامي. وليت الكاتبة عمّقت قولها السابق بأن النظام الديني مهما كان لايجتمع مع العلمنة وادركت بالتالي ماقلناه، اللهم الا ان نسلب الاسلام صفة النظام ونبقيه مجرد تعاليم اخلاقية سطحية وهذا مالايمكن تحقيقه.

ان للاسلام رأيه في كل السلوك الانساني، وان كل من عرف الاسلام أدرك انه ما من واقعة الا ولله فيها حكم او فيها كتاب وسنة كما يقول الامام الصادق(ع)[١٠]. ولايمكن ان يكون الانسان مسلماً حتى يلتزم بأحكام الاسلام «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما»[١١].

ان الصحوة الاسلامية في الاساس جاءت لترد على العناصر الثلاثة التي استهدفها الغرب من استعماره للعالم الاسلامي وهي (التخلف، والتمزق، والعلمانية)، ولتحقق العودة الى الاسلام بكل مقتضياته. فالاسلام دين التقدم، يدعو الى العلم بشتى انواعه، ويطلب من الامة الاسلامية ان تحقق كل عناصر القوة، وان تبذل اقصى جهدها لتكون خير الامم، ولتكون في الطليعة الحضارية للناس، والتخلف حالة غير طبيعية مطلقاً.

والاسلام دين الوحدة الاسلامية، والتخطيط الاسلامي للوحدة واضح تماماً، فالقانون واحد، والقائد واحد، والعواطف واحدة والشعارات والعبادات واحدة، وثروات الامة هي ملك كل الامة وقد جعلت لها قواماً وقياماً، وحقوق المسلمين جميعاً متكافئة

لابل قد يشترك كل المسلمين في بعض انواع الملكية، والتكافل والتوازن في مستوى المعيشة شاملان لكل المسلمين، والمسلمون جميعاً مسؤولون عن مجموع الامة وحدودها مسؤولية مشتركة.

اما الحالة الراهنة، والتبريرات التي تساق لها فهي كلها استثناءات يجب ان يعمل الجميع على حذفها في النهاية والعودة الى واقع الاسلام. ولا نجد عالماً او حتى مجرد مطلع على حقيقة الاسلام يجادل في هذه الحقيقة الواضحة.

والاسلام دين الحياة - كما قلنا - فلا يمكن ان ينسجم مع العلمنة بأي تعريف جاءت، وأية صفة اتخذت ايجابية ام سلبية، اما الاستناد الى التجارب القائمة فهو مجرد خداع؛ لأنها تجارب مفروضة على العالم الاسلامي ومتنافية مع حقيقة الاسلام.

ان الصحوة الاسلامية اذن تدعو للتفوق الاسلامي الحضاري فلا ينبغي ان يثير ذلك حفيظة الآخرين ان كانوا يملكون الروح الرياضية الحضارية، وأنى لهذه الروح ان تسود.

اما عن عوامل هذه الصحوة فلا نتوقع للكاتبة ان تكشف لنا عن العوامل الحقيقية ولذلك تلجأ الى العوامل الجانبية وربما تسطّح فكرها هي عندما تطرح فكرة الحسد وتغير العلاقات وامثالها.

اننا نتصور هذه العوامل ، كمايلي:

اولاً: طاقات الاسلام الذاتية التي لا تفتأ تمد المسلمين بدوافع التغيير، وتشدد على الحفاظ على الهوية الحضارية بعد أن اعطتها معالمها الشاملة ، بل وتدفع دائما على الحفاظ على التفوق او استعادته اذا فقد. وقد مرّ بنا القول ان كل اساليب التمييع سوف تبقى آثارها وقتية لأن الاسلام بطبيعته يدعو للوحدة ويرفض العلمنة.

ثانياً: اشتداد الحملة الاوربية على العالم الاسلامي بحيث استباح الغرب كل الثروات، واستعمر معظم البلاد، واعتدى على الهوية الثقافية، بل راح يهاجم المكونات العقائدية والاخلاقية، وينشر الرذائل، ويمزق النسيج الاجتماعي من خلال عملائه الحقيقيين او الثقافيين، ويزرع الكيان الصهيوني الغاصب في قلب العالم الاسلامي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولاريب إن حملةً من هذا القبيل سوف تواجه برد فعل قوي من امة يبقى الاسلام فيها حياً ، رغم عمليات القضاء عليه.

ولانريد ان نطيل في الحديث عن هذا العامل لوضوح ابعاده ، ووضوح حقيقة ان الاحتلال يستتبع المقاومة بشتى الوانها. ولعل الغرب شعر بهذه الحقيقة حين حاول التنفيس والاستعاضة عن ذلك باعطاء الاستقلال الصوري لبعض المناطق الاسلامية. ولكن هذا العمل بنفسه وفّر فرصةً لنمو الصحوة الاسلامية بشكل واسع وانطراح الاحساس الاسلامي بالاسلام الشمولي في الستينات واتساعه بشكل مرعب للغرب في السبعينات والثمانينات.

ثالثاً: فشل كل الحلول والاطروحات البديلة للمقاومة والتغيير، لانها كانت تحمل في داخلها عناصر فشلها. لقد فشلت الاطروحة القومية الضيقة رغم التطبيل والتزمير، ورغم نزولها المبكر الى الساحة وتحقيقها الكثير من الاهداف الغربية ومسحها الكثير من السمات الاسلامية في تركيا وغيرها. ذلك لأنها لا تنسجم مع الطبيعة الاسلامية التي تتجاوز القوميات.

كما فشلت الاشتراكية لانها اعتمدت على اسس إلحادية رغم تمتعها ببعض الشعارات المنسجمة مع بعض التعاليم الاسلامية كالعدالة الاجتماعية والدفاع عن المحرومين ومعاداة الاستعمار. وفشل الشكل التركيبي (الاشتراكي القومي) ايضاً لانه ايضاً تركيب وهمي لاينسجم مع الحس الاسلامي ولايعبر عن اية اضافة معرفية.

وهنا اودّ الاشارة بشكل وافر الى التحليل الرصين الذي كتبه استاذنا الشهيد الامام محمدباقر الصدر حول هذا الموضوع حيث قال: (ان الامة على الصعيد الاسلامي وهي تعيش جهادها ضد تخلفها وانهيارها وتحاول التحرك السياسي والاجتماعي نحو وجود افضل وكيان ارسخ واقتصاد اغنى وارفه سوف لن تجد امامها عقيب سلسلة من محاولات الخطأ والصواب الا طريقاً واحداً للتحرك وهو التحرك في الخط الاسلامي)، ويضيف: (حينما اخذ العالم الاسلامي ينفتح على حياة الانسان الاوربي ويذعن لإمامته

الفكرية وقيادته لموكب الحضارة بدلاً عن ايمانه برسالته الاصيلة وقيمومتها على الحياة البشرية بدأ يدرك دوره في الحياة ضمن اطار التقسيم التقليدي لبلاد العالم الذي درج عليه الانسان الاوربي حين قسم العالم على اساس المستوى الاقتصادي للبلد وقدرته المنتجة الى بلاد راقية اقتصادياً وبلاد فقيرة او متخلفة اقتصادياً وكانت بلاد العالم الاسلامي كلها من القسم الثاني)، وبعد ان ذكر ان العالم الاسلامي ظن ان الخلاص يكمن في تبعية الغرب راح يجد هذه التبعية بالتبعية السياسية، والاقتصادية والمنهجية التي تمثلت اما في الاقتصاد الاشتراكي، او في الاقتصاد الرأسمالي، وكان لكل من المنهجين مايبرره. بعد هذا راح ينتقد اولئك الذين يغفلون - عند محاولتهم تطبيق خطة ما - العامل النفسي للامة (فلابد للامة بحكم ظروفها النفسية التي خلقها عصر الاستعمار وانكماشها تجاه ما يتصل به ان تقيم نهضتها الحديثة على اساس نظام اجتماعي ومعالم حضارية لا تمت الى بلاد المستعمرين بنسب) وكان الحل المقترح هو اتخاذ القومية فلسفة وقاعدة للحضارة، ولكن القومية (ليست الا رابطة تاريخية ولغوية وليست فلسفة ذات مبادئ ولا عقيدة. فنادت بالاشتراكية العربية تغطية للواقع الاجنبي المتمثل في الاشتراكية من الناحية التاريخية والفكرية وهي تغطية فاشلة لا تنجح في استغفال حساسية الامة، لأن هذا الاطار القلق ليس الا مجرد تأطير ظاهري وشكلي للمضمون الاجنبي)... ولا يمكن لدعاة الاشتراكية العربية ان يميزوا الفوارق الاصلية بين اشتراكية عربية واشتراكية فارسية واشتراكية تركية) ويقول بالتالي: (وبالرغم من ان دعاة الاشتراكية العربية قد فشلوا في تقديم مضمون حقيقي جديد لهذه الاشتراكية عن طريق تأطيرها بالاطار العربي فانهم أكّدوا بموقفهم هذا تلك الحقيقة التي قلناها وهي ان الامة بحكم حساسيتها الناتجة عن عصر الاستعمار لايمكن بناء نهضتها الحديثة الا على اساس قاعدة اصيلة لا ترتبط في ذهن الامة ببلاد المستعمرين انفسهم). ويقول عن الاسلام الذي يواجه هذه الاطروحات: (ان هذه القوة مهما قدّرنا لها من تفكك وانحلال نتيجة لعمل الاستعمار ضدها في العالم الاسلامي لايزال لها اثرها الكبير في توجيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلوك وخلق المشاعر وتحديد النظرة نحو الاشياء) [١٢].

ونعود الى الكاتبة لنجدها احياناً تشير لهذا العامل حين تؤكد ان العلمانية حققت نصراً زائفاً خلال خمسين عاماً ولم تستطع ان تحقق الطموح وعاد التمسك بالاسلام هو الحل.

رابعاً: ظهور شخصيات توعوية كبرى كان لها الاثر المتفاوت في ايجاد هذه الصحوة او مقدماتها او ترشيدها او اعطائها طاقات حماسية وفكرية او منحها الثقة بنفسها والامل الواعد بمستقبلها الحتمي، اضافة للوعود الالهية الحتمية بانتصار المؤمنين، والمستضعفين، وحلول العدل الشامل وظهور المصلح المنتظر(ع).

ويمكننا ان ندرج في قائمة هذه الشخصيات الكثير من الكبار من امثال المرحوم السيد الاسد آبادي (الافغاني) - وان حاولت الكاتبة التشكيك في اخلاصه - والمرحوم محمد عبده - وقد شككت فيه ايضاً بل جعلته عاملاً على اتجاه بعض تلامذته للعلمنة - والمرحوم الميرزا النائيني والمرحوم كاشف الغطاء والمرحوم الامام الخميني والمرحوم سيد قطب والمرحوم الامام الصدر والمرحوم المطهري والمرحوم الغزالي والمرحوم البهشتي وغيرهم كثير.

خامساً: ويجب ان لا ننسى دور التطورات والحوادث الكبرى في اذكاء هذه الصحوة من قبيل:

١ـ تنامي مستوى وسائل الاتصال ، والحركة المعلوماتية ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة.

٢- ارتفاع مستوى التعليم الاسلامي.

٣- تطور اساليب الدعوة الى الاسلام.

٤- توفر بعض اجواء الحرية في العالم الاسلامي.

٥- اشتداد حركة مقارعة الاستعمار.

٦- قيام المؤسسات الدولية الانسانية المدافعة عن حقوق الانسان والداعية لتنظيم

العلاقات الدولية على اسس انسانية .

٧- حدوث بعض الحوادث المروعة كاحراق المسجد الاقصى او هزيمة عام ٦٧.

٨- انتصار الثورة الاسلامية الكبرى في ايران، وانتصار المجاهدين الافغان على الاتحاد السوفيتي.

٩- انهيار الاتحاد السوفيتي وتحرر الدول الاسلامية.

وغير ذلك من التطورات التي ساهمت في اتساع الصحوة الاسلامية ونشر مفاهيمها ودعوتها في رفض التخلف والتمزق والعلمنة، والعودة الى الحل الاسلامي الذي لابديل له.

ومن الجدير بالاشارة اليه ان نقول:

ان الغرب لم يأل جهداً في اجهاض الصحوة، ومقابلتها ، والهائها واتهامها بشتّى التهم من قبيل (التخلف والرجعية، والتطرف والاصولية، والعنف والارهاب، والعمل ضد الديمقراطية والحرية، وضرب حقوق الانسان) ولم يعدم من قدّم له الذرائع من المسلمين ممن عرض فكراً رجعياً، أو سلك مسلكاً متطرفاً، او عمل عملاً ارهابياً، او قاوم الديمقراطية والحرية او نقض حقوق الانسان. ولكن الواضح تماماً ان هؤلاء لا يمثلون الاتجاه الاسلامي العام فضلاً عن ان يكون سلوكهم ممثلاً للصحوة الاسلامية او معبّراً عن روح الاسلام وتعاليمه.

هذه هي الحصيلة التي تتوصل اليها في نهاية الكتاب.

والحقيقة هي ان هذه الآراء هي قناعة الكتّاب المعتدلين الى حد ما في الغرب، اما المتطرفون فمازالوا يرددون آراء (وليم جيمس) و (هنتنغتن) في ضرورة التعامل مع العالم الاسلامي معاملة الغابة، وضربه بكل قسوة وعدم التعاون معه.

ولكننا نختلف مع توجهات الكاتبة تماماً.

اننا نلمح في الافق السمات التالية:

اولاً: اتساع حركة الصحوة الاسلامية وتجذّرها بحيث لا تنفع معها اساليب الحذف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

او التحريف.

واذا اردنا ان نستدل لهذا التوقع ، وتجاوزنا المسألة العقدية التي نؤمن بها دون اي شك، فانا نشير الى مظاهر الصحوة التي تعم العالم الاسلامي من ارتفاع مستوى الأمل لدى جماهيرنا الاسلامية، وانتشار التقاليد الاسلامية كالحجاب وانماط التعاون والعبادات انتشارا واسعاً، واتساع حركة المطالبة بتطبيق الشريعة في كل الحياة ، وتشكّل المنظمات الاسلامية ودخولها الى الساحة السياسية والاجتماعية بكل قوة، وانهزام الفكرة العلمانية مرحلة بعد مرحلة، وزوال الامل بغير الاسلام على الساحة الفلسطينية وامثالها من سوح المقاومة، واتجاه النخبة والجماهير نحو ثقافة الوحدة والتقريب، والسعي الحثيث على كل المستويات لنبذ التخلف، وغير ذلك.

ثانياً: اتجاه الدول الاسلامية نحو التعاون الاكبر، والعمل على وضع آليات جديدة لتفعيل المؤسسات الشمولية واحساسها جميعاً بالخطر المشترك.

ولا نريد ان نكون متفائلين اكثر من اللزوم ولكننا ندرك هذه الرغبة لدى القسم الاكبر، ونرجو ان تتحقق، خصوصاً وان المسألة لم تعد بيد الحكومات وحدها فالعصر عصر الجماهير.

ثالثاً: ارتفاع مستوى أهمية العالم الاسلامي في مختلف المجالات. صحيح أنه احياناً لا تدرك هذه الأهمية ولكنها حقيقة قائمة لايمكن انكارها او التغاضي عنها فلدى هذه الامة الكم البشري الهائل، والقدرات الاستراتيجية الفريدة والمواقع الجغرافية المتحكمة، والعقول العلمية المتقدمة، وفوق كل ذلك لديها الطاقة الحرارية والحضارية الاسلامية التي لا تنضب.

الهوامش:

١ - من قبيل ما كتبه الكثير من الكتاب الاسلاميين كمحمد محمد حسين والعقاد، ومحمد حسنين هيكل، والمطهري، والسيد الصدر، والندوي، وكتاب غربيون مثل جون اسبيزيتو وب . بيسكاتوري، وفرانسوا بورجا، وجيل كيبيل ور. ديكميجيان، وشيرين هنتر، وابراهام برايان وغيرهم.

٢ - مستقبل الاسلام والغرب صدام حضارات ام تعايش سلمي: ص ٩٦.

٣ - الواشنطن بوست، ١٩ يناير ١٩٩٢.

٤ -١٩٩٥ Paris: Editions La Decouverte)، ١٠٧.

٥ - مصدر سابق ص ٩٨، من الترجمة العربية.

٦ - مصدر سابق.

٧ - روضة الكافي، الجزء الثامن، ونقله عنه ابن شعبة الحراني في آخر كتاب (تحف العقول) وتحدث عنه بالتفصيل البروفيسور محمود ايوب في كتابه (دراسات في العلاقات المسيحية الاسلامية) ج١، ص٦٤.

٨ - مستقبل الاسلام والغرب.

٩ - الماسونية تأليف اسماعيل رائين نقلاً عن المجلة الملكية الآسيوية كانون الثاني ١٩٤٤.

١٠ - أصول الكافي ج ١ باب الرد الى الكتاب والسنة - ح ٤ ص ٥٩.

١١ - النساء/ ٦٥.

١٢ - اقتصادنا - المقدمة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com